Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصوغ بعناية، عاريةً من أثوابها الجميلة، أو عاطلة من أغلفتها الفنية التي تجعلها مقبولة مستساغة.

ومن أسباب الاستساغة أن الكاتب كان ممسكاً بعنان جواده الإبداعي، ملمّاً بتفاصيل كل الأحداث التي ستأتي، مُتصرّفاً تصرُّف الروائي العالم بكل شيء، دون أن ينعكس علمه هذا ملامح مستكرهة، أو وقائع مفاجئة.. وقد حقّق (ناصيف) في أثره الفني هذا شرط المؤلف الجيد الذي قال (إدغار آلان بو) فيه: "إنه من يضع نصب عينيه السطر الأخير عندما يكتب السطر الأول"(قضايا الرواية الحديثة ص٢٦١). والإمساك بخيوط الرواية بتدبُّر جعل الأحداث تتالى بعد ممهدات وإرصادات تأخذ بيد القارئ شيئاً فشيئاً، وهو يسير في دهاليز العمل الروائي، فقد كان الكاتب يرهص بأحداث قصته حدثاً حدثاً، ويجعلنا نتوقع أن أمراً ما سيحصل، على هذا النحو أو ذاك، فيحصل فعلاً..! فمنذ مطلع الرواية توقّعنا أن سوءاً سيلحق بـ(غالي بابا)، لأنه كان يخشى المجهول، ولأن مسحة حزن مرت بنفسه، ووقع هذا. وتوقّعنا أيضاً أن (رستم الغطّاس)- مساعد القبطان قد يقتل، وذلك لأنَّ القبطان، في جولته على الركاب، قال له، ممازحاً: "قتلتُ رستم وربِّ الكعبة"! والذي وقع هو أن (رستم) صلُبَ حيّاً، أولاً، ولم يهادن أعداءه، ولم يستسلم لطلباتهم، فقُذف به في قاع البحر ليتلقاه سمكُ قرشٍ فاغرٍ فاه...!

وليكون من غطسه في اليم تناغماً مع اسمه (الغطّاس)، هذا الذي لم يختره الكاتب اختياراً عابثاً، كما لم يختر أسماء الشخصيات الأخرى أيضاً عبثاً- كما سنرى.

وكذلك لم تكن عبارة (سماح) التي وجّهتها إلى (زيد شيخ الشباب) مجانيةً، فقد قالت له في أول تعارف بينهما: "كان ينبغي أن يسمّيك أهلك زيدان" فأجابها: "لماذا يا آنستي؟" قالت: "كنتَ ستعيد تلك الشخصية المتميزة في تغريبة بني هلال. زيدان شيخ الشباب ذاك الذي كان يدين له شباب بني هلال كلهم بالطاعة والخضوع"- (الرواية ص ٢٨). وفعلاً صار (زيد شيخ الشبابِ) زعيم شباب السفينة وركابها، قاد نضالهم ضد الخاطفين، ودانوا له جميعاً بالطاعة والخضوع... والشيء ذاته يصدق على قولة (سماح) لـ(حازم) في مطلع الرواية: "مصير بائس"-(ص٢١). فهي عبارة تناغمت تناغماً عجيباً مع ما آل إليه (حازم) من مصير بائس على أيدي عصابة (بن جدعون).

وسبق لنا أن ذكرنا ما كان ينتفع به الكاتب من حكايات يجريها على لسان